ISSN
2310-0087

زانکۆی کەرمیان
University of Garmian 2010

حکومەتی هەرێمی کوردستان
وەزارەتی خوێندنی باڵا و توێژینەوەی زانستی
زانکۆی کەرمیان

زانکۆی کەرمیان

گۆڤاڕێکی زانستیی ئەکادیمییە
زانکۆی کەرمیان دەریدەکات

ژمارە : ٦
ساڵ : ٢٠١٥

مفهوم الأدب عند الكاتب
أحمد أمين

م.د. أحمد عبد العزيز عواد
جامعة الأنبار/كلية الآداب/قسم اللغة العربية

ملخص البحث :
تهدف الدراسة إلى الكشف عن الوجهة التي كان يتجه إليها الكاتب أحمد أمين في مفهومه للأدب؛ حين أراده أدبا واقعيا ذا معان غزيرة وألفاظ وتراكيب سهلة بسيطة، يتسنى لجميع أطياف الشعب فهمه والتفاعل معه والتأثر به والإفادة منه؛ فهو باختصار أدب ديمقراطي لا ارستقراطي، وهو أخيرا أدب للمجتمع لا للفن .

مفتاح البحث :
(المعاني والأفكار ، الألفاظ والتراكيب ، سمات عامة وصفات مشتركة)

مقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن والاه وبعد:
فقد تباينت آراء النقاد وعلماء البلاغة والأدباء قديما وحديثا بشأن الأدب وكيف كانت نظرتهم إليه وماذا ينبغي على الأديب مراعاته عند الكتابة وما هو الأدب الراقي وما الشروط التي يلزم توافرها فيما يصح أن يطلق عليه أدب جيد أو أدب رديء..

وبعيدا عن الإطالة والتفصيل فإن المعيار الذي اعتمده هؤلاء الذين ذكرت يقوم -عموما- على مدى العناية التي يوليها الأديب لطرفي الكتابة **(اللفظ والمعنى)** وما يعتقده كل منهم من تقديم أحدهما على الآخر في الأهمية ومن أولى منهما بذلك، أو من عدم التفريق بين كليهما في التركيز إلى غير ذلك مما يتفرع عن هذا المعيار الأساسي.

لذا وجدت من الأدباء – مثلا – من يهتم باللفظ على حساب المعنى، وآخر على العكس من ذلك، ووجدنا في المقابل من لا يفرق بين لفظ ومعنى وإنما يولي الطرفين العناية البالغة ويعد ذلك شرطا للأدب الراقي؛ بل ويسخر بعض هذا الصنف من أولئك الذين يفرقون في أحكامهم بين اللفظ والمعنى ويعجب لذلك أشد العجب؛ حين لا يرى ما يميز أحدهما على الآخر؛ إذ هما **كجناحي طائر لا يمكن الاستغناء عن واحد منهما إلا إذا قرر الطير الهلاك.**

ويبدو لي أن كاتبنا أحمد أمين – رحمه الله – كانت له نظرة خاصة ورأي مُميّز في هذا الجانب، لذا فقد آثرت أن يكون محور بحثي؛ لأرى بالدليل والبرهان الوجهة التي كان يتجه إليها في الأدب، والمذهب الخاص الذي اختاره لنفسه وشجّعه وحرص عليه، وذلك من خلال التقصي والبحث في واحد من أجل وأشهر كتبه التي ألفها؛ وهو كتاب **(فيض الخاطر)** الذي جمع فيه مقالاته في الأدب والاجتماع في عشرة أجزاء من الحجم الكبير.
ولقد حرصت جاهدا على توخي الدقة في استيحاء نظرة الكاتب أمين حين قمت باستخلاص جميع ما يتعلق بالأدب من مقالات في تلك الأجزاء العشر، لأدقق النظر فيها مستخرجا الرأي الصريح والآخر الضمني في الأدب عنده كيف يراه ويريده، كما واخترت أن أجعل ما استقر عندي من تصريحات وإشارات لديه بمنزلة الشروط الواجب الأخذ بها وفقا لأدبه.
وبناء على ذلك قسمت الموضوع على مباحث ثلاثة: الأول منها عالجت فيه المعاني والأفكار، وفي الثاني بحثت الألفاظ والتراكيب، أما الثالث فقد حوى سمات عامة وصفات مشتركة تجمع بين الشكل والمضمون؛ لأخلص بعدها إلى الصورة النهائية لمفهوم الأدب عند أمين، ثم لتأتي الخاتمة التي أفصحت عن أهم ما توصل إليه الباحث.. راجيا المولى سبحانه أن أكون قد وفقت في عملي هذا، وأستغفر الله عما وقعت فيه من خطأ أو تقصير... والله من وراء القصد.

المبحث الأول

المعاني والأفكار:

يشير الكاتب أحمد أمين في مجمل ما كتب من مقالات إلى مجموعة من الشروط التي يتحتم على أديبه أن ينظر إليها، ولا يغفل عنها؛ لأجل أن ينعت بالأديب الحق، ولعلي في هذا المبحث أمر على أهمها مما له صلة بالمعاني والأفكار - تحديدا - وأبدأ بالشرط الأول والأهم وهو شرط:

الواقعية حيث لا بد لهذا الأدب أن يكون واقعيا يلامس الحياة ويلبي جميع حاجات المجتمع الذي يعيشه الأديب المادية منها والمعنوية، يحاكي الحاضر ويتناغم مع روح العصر، حتى لا يكون بمنأى عما يشعر به ويحسه أفراد مجتمعه.

لذا نجده وبشكل متكرر يوجه انتقاده الحاد إلى الأدب الجاهلي وإلى المتمسكين به المتعصبين له المحتذين بكل صغيرة وكبيرة فيه؛ لأنه – وعلى حد قوله – أدب لا يمثلنا وإنما هو أدب أهله وزمانه.

يقول أمين: (ذلك لأن الأدب إنما يعد صالحا للأمة إذا كان مظهرا تاما شاملا صادقا لحياتها الاجتماعية على اختلاف أشكالها، في جدها وهزلها، في صبا أفرادها وكهولتهم وشيخوختهم، في آلامهم وآمالهم، في حياتهم اليومية، في البيت والمصنع ودور اللهو والتمثيل، في حياتهم السياسية وحياتهم الاقتصادية؛ فإذا استطاع أدب الأمة أن يملأ كل هذا الفراغ عد أدبا صالحا كافيا، وإلا لم يكف وحده.

فلننظر في ضوء هذه النظرية إلى الأدب العربي فماذا نجد ؟ نجد أن الأمة العربية – من مصريين وشاميين وعراقيين وغيرهم – بين أدبين: أدب عربي قديم، وأدب عربي حديث؛ فأما الأدب العربي القديم فلا يمثل إلا أجياله ولا يمثل جيلنا، وهو صورة للحياة الاجتماعية التي نشأ فيها، وليس صورة لحياتنا...).(١)

ولذلك ترى أمين يشيد بشعر بشار وأخيه أبي نواس ويجعل منهما المجددين الأول والثاني في الأدب العباسي على وجه التحديد لا لشيء إلا لأنهما استطاعا أن يخرجا بالأدب من التقليد الذي دأب عليه سواهم في محاكاة الشعر الأموي والجاهلي في الموضوعات والألفاظ إلى الأسلوب الحديث الذي يحاكي الحياة الواقعية التي صار عليها عصرهم العباسي وما طرأ عليه من تغيير شمل مناحي الحياة على مستوى اللهو والجد، والسياسة والعلم، والنزعات المختلفة إلى غيرها مما يفرض شاعرا ماهرا يستطيع أن يعبر عن كل ذلك الجديد بشعر جديد ونمط جديد حتى ولو كان ذلك مما يتحدث عن اللهو والمجون والخمر والفجور – بقيد سآتي عليه -، كما عند أبي نواس.(٢)

لذا وعند حديثه عما يسمى (مقال الخواطر والتأملات) يشيد الكاتب **عبد اللطيف محمود حمزة** بأحمد أمين ويجعله في مقدمة الكتاب الواقعيين الذين يتذوقون بحواسهم أسرار الواقع ودقائق الحياة ويلتهمون ما فيه من همسات تنبئ عن جمال الحقيقة أو قبحها؛ مستشهدا بإحدى مقالات أمين في خواطره بعنوان **(كتابة المقالات)** ومعلقا بعد ذلك بالقول إن الكاتب الفنيّ هو من استطاع أن يجد من كل شيءٍ موضوعًا يجيد فيه , ويستخرج إعجاب القارئ، ومن استطاع أن يجد من كل شيء نواة يؤلف حولها ما يصلح لها حتى يخرج موضوعه منسقًا تنسيقًا يبهر السامع والقارئ... (٣)

ويضيف أمين تبعا لذلك شرطا آخر يكاد يكون مكملا للشرط الأول ذاك هو:

الذوق ومدى مراعاة الكاتب له بما ينسجم مع طبيعة العصر ويتلاءم والظرف الذي يعيشه الكاتب ليكون مقبولا أو أقرب إلى القبول؛ فذلك سر من أسرار النجاح في العمل الأدبي. يقول أمين: (إنا لنستطيع أن نحكم على ذوق الأمة بنظرنا في مجموعة من صحافتها وكتبها الأدبية الرائجة، لأن جمهرة الأدباء يتبعون ذوق جمهورهم أكثر مما يرقى القراء إلى ذوق أدبائهم لو ارتفعوا عنهم).(٤)

أما الشرط الثالث الذي يضعه أمين للأدب الراقي والفن المتميز فهو أن يكون:

أدب روح – كما يسميه – **لا أدب معدة**، ويعني أمين بأدب الروح (الأدب الذي يتصل بالعواطف السامية عند الإنسان فيهذبها ويرقيها ويغذيها).(٥)

أما أدب المعدة فعنده هو (الأدب الذي يدور حول سد الرمق وملئ المعدة، واستدرار البول، وتحصيل القوت).(٦)

ثم يعدد أمين أمثلة تنتمي إلى أدب الروح فيضع في مقدمتها **(القرآن الكريم)** الذي يسمو بالإنسان عن عالم المادة، ويأخذ بيده إلى السماء لينظر إلى الأرض، نظرة تريه الحق حقا والباطل باطلا...

ثم يثني بديوان الحماسة، وكذلك غزل جميل وكُثَيِّر والعباس بن الأحنف وأدب الطبيعة... ثم ينتهي إلى القول بأن كل هذه الأنواع من الأدب تنبعث عن عواطف نبيلة وتبعث أيضا على أعمال نبيلة، تنبع من عواطف سامية، وتدفع إلى أعمال سامية وهي أليق ما تكون بالإنسان الراقي المهذب.(٧)

كما ويذكر أمين لأدب المعدة أمثلة الجامع فيها هو: التكسب والتسول ويجعل في مقدمتها المديح ثم الغزل الفاجر والمقالات التي لا طائل منها – كما يقول – سوى ملئ أعمدة الصحف والمجلات. بل ويجعل كثيرا من شعر الزهد أيضا (أدب معدة)؛ لأنه يدور حول المعدة وإن كان سلبيا. ويوضح أمين معنى كونه سلبيا بالقول: فكما نعد مواقف الهجوم والدفاع مواقف حرب، ونعد ما يفتح الشهية وما يصدها صنوفا من صنوف المائدة، ونعد (كل) و(لا تأكل) حديث طعام، كذلك يصح أن نسمي – أيضا – الأدب الذي يثير شهوة الطعام والذي يحارب تلك الشهوة (أدب معدة)...

ثم يعطي أمين في آخر المطاف الضابط الذي يفرق به بين أدب الروح وأدب المعدة فيقول: أديب الروح لا بد أن يغنّي بما في نفسه ولو لم يغنّ لانفجر، يغني بما في نفسه سواء كوفئ أم عوقب، وسواء قرب أم شرد، وسواء أعجب أم لم يعجب...

أما أديب المعدة فهو يغني للمضيف لا لنفسه، يتحسس المعاني التي تسر صاحب الموائد حتى يخرج له شهي الطعام ومختلف الألوان، يبيع ذوقه لذوقه وفنه لفنه .(٨)

وثمة شرط رابع يفرضه أمين في أدبه الذي يشتهي ويطلب ذلكم هو شرط:

الفكاهة ومدى توافرها في النص الأدبي، ويعدها من مستلزمات الأدب الناجح بما دأب عليه القدماء من كتابنا من تضمينهم لمثل هذا النوع في كتاباتهم سواء بشكل جزئي أو بصورة كلية، مثل إفرادهم نصوصا أو كتبا مؤلفة تعنى بهذا النوع من الكلام. يقول أمين: (والأديب الماهر لا بد أن يكون لديه القدرة على الفكاهة، سواء كان شاعرا أو خطيبا أو كاتبا أ قصاصا أو روائيا، وهو بهذه الملكة يستطيع أن يصل إلى نفوس سامعيه ويفتحها لآرائه، ويدس في ثنايا فكاهته ما يريد من المبادئ والنظريات فيتقبلها القارئ أو السامع في لذة ومتعة ويكون ذلك أفعل في نفسه، ولهذا ينجح الأديب الفكه أكثر مما ينجح الأديب العابس).(٩)

والقوة خامس الشروط الأمينية؛ فحين يتكلم أمين عما يسميه **(أدب القوة وأدب الضعف)** يروي لنا نوعين من الأدب؛ ينحاز إلى الأول جاعلا منه صورة من صور الأدب الرصين، في حين يرمي الثاني بالضعف والقصور.

وتعليل ذلك – عندي - بأن **الأول** مما يدعو إلى معالي الأمور، ويرفع الهمم، وينشئ الرجولة، ويقوي الأخلاق ويبني المجتمع. أما **الثاني** فهو خلاف ذلك لأنه إلى الميوعة أقرب وإلى التخنث أدنى وإلى الخضوع والهدم أوشك.

لهذا نجده يمثل لأدب القوة بشعر المتنبي والبارودي في حماسة كل منهما وشدته؛ فلقد حرص الثاني (البارودي) وهو صاحب قلم وسيف على أن يكون قلمه مسجلا لآثار سيفه.(١٠)

أما الأول (المتنبي) فقد أفرد له مقالا أوضح فيه القوة في شعره كيف كانت وذلك حين أشاد بالحكم التي صاغها المتنبي في شعره فأصبحت سر تفوقه ومنارة أدبه؛ لأنها – باختصار -ليست ككل الحكم ترد في أشعار كثير من الشعراء؛ فحكمة المتنبي مردها التجربة والإلهام **وقد أتى بها في قالب من القوة التي إن كانت في غرض بلغت به التمام والكمال والمتعة والجمال ثم التأثر والتأثير.**

وبهذا فإن أمين يرجع الحكمة إلى ينبوعين اثنين وهما: التجربة والإلهام، إذا اجتمعا في شخص فهو الحكيم وهو الأديب من بعد والفيلسوف؛ فكيف إذا كان ذلك الشخص هو المتنبي أمير البيان وملك الفصاحة !.

رغم أني أرى أن الإلهام يحصل بالدرجة الأولى نتيجة لكثرة التجارب التي يخوضها الإنسان العاقل..

وإذا نحن عدنا إلى الحكمة في شعر المتنبي نجدها – كما يصرح أمين – منطبقة تمام الانطباق على محيطه ونفسه ليس فيها أثر من تقليد ولا شبه من تصنع فهو ينظم ما يجول في نفسه وما دلته علي تجاربه لا ما نقل إليه من حكم غيره إلا في القليل النادر.(١١)

وجدير بالعودة إليه – زيادة في إتمام المعنى - **النوع الثاني** الذي أشار إليه أمين وهو ما نعته بأدب الضعف الذي يستشهد له ابتداء بقول أحد شعراء آل الزبير وهو (عبد الله بن مصعب بن ثابت بن

عبدالله بن الزبير) حين كان يجتمع هو وبعض آل الزبير - كما تروي الكتب - إلى مغنية فيسمعون ويطربون، حتى إذا استخف الطرب قال:

أحلف بالله يمينا ومن يحلف بالله فقد أخلصا
لو أنها تدعو إلى بيعة بايعتها ثم شققت العصا

فبلغت هذه الأبيات أبا جعفر المنصور، فدعاه إليه وعنفه على قوله وعيره بضعف آل الزبير من هذه الناحية، إلى أن قال له: (حتى صرت أنت آخر الحمقى تبايع المغنيات، فدونكم يا آل الزبير وهذا المرتع الوخيم) وسخر المنصور من هذا الضرب من القول، وهذا النوع من الحياة وقال: إنما يعجبني أن يحدى لي بهذه الأبيات:

إن قناتي لنبع لا يؤيسها غمز الثقات ولا رهن ولا نار
متى أجر خائفا تأمن مسارحه وإن أخف آمنا تقلق به الدار) (١٢)

ثم يأتي أمين إلى شرط سادس يفهم من خلاله معنى الأدب الصحيح الذي يرغبه هو، ويُرَغّب فيه ويدعو إليه؛ ذلك هو شرط:

الموسوعية؛ وتعني أن يأخذ الأديب من كل علم بطرف وأن تكون له القدرة على توظيف جميع الأشياء في خدمة الأدب، والإفادة منها وصياغتها في قالب أدبي؛ تلبية للذوق الإنساني والجوع العقلي والخواء الروحي، وهذا عينه الذي صنعه الجاحظ والذي تكلم عنه أمين في مقالته **(الجاحظ البطل)** بعد أن عزى تلك البطولة إلى ما ذكرنا من أسباب، وأخرى كان الجاحظ قد تفرد بها؛ فالجاحظ فوق كونه أديبا كان منهلا للعلماء والأدباء بعده؛ لأنه باختصار أتى بما لم يستطعه غيره في ماض وآت.(١٣)

ثم ومن الشروط الأخرى التي قد ترد عند أمين شرط سابع يكمن في دعوته أهل الأدب إلى:

الابتكار ونبذ التقليد؛ إلا بما يخدم الكاتب ويعينه على التفوق والتميز ويفتح له باب الإبداع والتجديد؛ لذا نجده يدعو الزعماء وأهل الرأي أن يحذفوا من تراثهم كل ما يحث على الالتزام بالتقليد والتمسك به ويُلقوا به، ثم يُبقوا على ما يشجع الابتكار والتجديد بما فيه من نفع للأدب والمجتمع.(١٤)

ويتأكد هذا الشرط مرة أخرى في قول أمين في موضع آخر: (ومما يعاب على الشرقيين أنهم أقل ابتكارا من الغربيين، وأنهم أكثر تقليدا منهم، وذلك في أكثر فروع العلم والفن، ففي الأدب مثلا لا تزال موضوعاتهم هي المديح ونحوه من موضوعات الأدب الجاهلي، والأوزان لا تزال هي الأوزان التي جمعها الخليل بن أحمد، وحصرها في ستة عشر وزنا، والفقه قد أقفل أصحابه باب الاجتهاد، والفلسفة هي فلسفة اليونان تقريبا، والآلات والأدوات التي نستعملها في بيوتنا هي المخترعات الأوربية، وقل أن نجد مخترعا جديدا).(١٥)

وحين يسأل أمين عن السر الذي ألهمه الأدب يجيب إجابة ينجلي منها **شرطان آخران؛** ثامن وتاسع يضافان إلى الشروط آنفة الذكر التي يقترحها أمين في صناعة الأدب النافع والماتع وهما:

العاطفة؛ التي لا بد منها والتي بدونها لا وجود للأدب على الإطلاق؛ إذ هي ركن أساسي من أركان الفن لا يتسنى لفنان ما أن يصبح فنانا حقا إلا إذا منح هذه العاطفة...(١٦)

ولقد أبصرت وعند تصفحي سيرة كاتبنا الذاتية ومروري على كثير من كتاباته الأدبية شدة تولعه بالطبيعة؛ يعشقها ويعجب ممن لا تؤثر فيه هذه المناظر الخلابة كيف يكون أديبا أو حتى إنسانا سويا؛ لأنه بذا يكون خلاءً من العاطفة التي هي ينبوع الحياة وبوابة الحب.

ثم إلى جانب العاطفة ذكر لنا أمين:

كثرة المطالعة في الكتب المفيدة؛ العربية منها والأوربية، وإدامة النظر فيها ما دامت تنمي العقل الإنساني للكاتب العربي.(١٧)

وعاشر الشروط التي انتزعتها من كلام أمين في حديثه الذي اختار له عنوان (ضيعة الأدب) شرط يمكن صوغه بـــ:

البعد عن السياسة؛ فها هو أمين يحذر كل من ينوي التصدي لهذا النوع من العمل الكتابي من أن يقترب من السياسة وينصحه أن يكون بمنأى عنها؛ إذ هي والأدب **كالماء العذب الزلال يفسده الملح الأجاج.**

فأمين يرى أن السياسة تقيد الأديب وأن الأدب بالطبع أرقى من السياسة وأن الوزير أقل شأنا من الأديب...(١٨)

وإلى جانب ما ذكرنا من شرط البعد عن السياسة نلمح توجيها أمينيا يقترب إلى حد كبير من ذلك المعنى؛ فعند كلامه عن الإمام الشافعي – رحمه الله – نعت شعره بالضعف أو غير الممتاز وعزى

ذلك إلى اشتغاله بالفقه وقال بأن مصطلحات الفقه قد أثرت في لغة الشافعي الشعرية وجعلته أقل شأنا بسبب ذلك، مستشهدا ببعض الأبيات التي يرى فيها إخفاقا في شعر الشافعي بسبب انصياعه البيّن لمفردات الفقه ظهرت على قصائده. ومستشهدا أيضا بقوله – أعني الشافعي -:

ولولا الشعر بالعلماء يزري لكنت اليوم أشعر من لبيد (١٩)

ظنا من أمين أن الشافعي يعترف وفقا لهذا البيت بقصوره الأدبي.(٢٠)

وربما تبقى هذه النظرة الأمينية تجاه الشافعي وغيره محل خلاف؛ لأنها مسألة أراها نسبية قد لا تصدق على الجميع ممن يجمعون بين الأدب كفن أو موهبة وبين سائر اختصاصاتهم الأخرى.

وأختم الشروط التي أحصيتها عند الكاتب أحمد أمين فيما يتعلق بالأفكار والمعاني التي يتعين توافرها فيمن يليق تسميته أديبا وفقا للنظرة الأمينية بشرط:

التجربة فهي سبيل الأدب الرصين الذي يمنح صاحبه فرصة حيازة اللقب؛ هذه التجارب التي قد نجدها عند الشيخ أكثر منها عند الشاب بحكم العمر الذي أتاح للأول إمكانية الحصول على الكثير من المعارف واكتساب الفنون.

ومعلوم أن الناس مشارب ومذاهب وأذواق تختلف من شخص لآخر؛ والكاتب صاحب التجربة الحياتية يراعي عند الكتابة كل ذلك أو يحاول؛ وبذا فإن الأدب لا يشيخ.(٢١)

المبحث الثاني

الألفاظ والتراكيب:

وكما يضع أحمد أمين شروطا للمعاني والأفكار التي لا بد أن يخضع لها الكاتب في أعماله الأدبية ليستحق لقب الأديب بجدارة؛ كذلك يحدد شروطا أخرى لا بد للكاتب أن يجعلها نصب عينيه يصف فيها نوع الالفاظ والتراكيب التي يختارها هو كأديب فيجعل في مقدمة تلك الشروط:

البساطة؛ ويعني بها أن يتقلل الكاتب وأن يتخفف ويتبسط ما استطاع في أسلوبه إذا ما أراد الكتابة في موضوع ما، من غير أن يتخلى عن اللفظة الفصيحة واللغة الأصيلة؛ إذ هي أساس الكلام وفخر الكتابة، هذا إلى جانب تسويغه إلحاق اللغة ببعض المصطلحات الحديثة التي يمكن معها مواكبة التطور الحاصل في البيئة التي يعيشها الكاتب والتي تضمن الفهم السليم والمتابعة الحقة وطرد الجهد الذهني الذي يوجد بسواها..

وهذا ما شهد به **زكي مبارك** حين صرح في إحدى مقالاته التي نشرت في مجلة الرسالة من أنه (يجب الاعتراف بأن لأحمد أمين أسلوبًا وبأن لهذا الأسلوب شخصية تتميز بالسهولة والوضوح). (٢٢)

بل ويفرط أمين في هذا الأمر ليصل أحيانا إلى تجويز استعمال اللغة العامية، التي يطلق عليها اسم **(العامية المهذبة)**، وذلك بدعوى التقريب الذي يكفل للمتلقي الجديد أن يفهم لغة عصره بلا عناء ولا مشقة.

ويزعم أمين في هذه الدعوة - التي يقف الباحث منها على حذر – (أن اللغة لما كانت واقعية جاءتها المخترعات الحديثة والآلات الحديثة فلم تقف كما وقف رجال الفصحى وقالوا: تلفون وسيما وراديو، وسمى النجار آلاته، والحداد أدواته، وصقلوها بألسنتهم ولم ينتظروا رجال العلم والأدب).(٢٣)

وهذا الذي يقرره أمين من الإفراط في تبسيط اللغة قد جره إلى أكثر من ذلك حين صار يرى أنه لا بد مما اصطلح عليه اسم **(التقليم والتطعيم في اللغة)**، ويعني به أن ثمة ما هو زائد على اللغة - على أقل تقدير - في عصرنا؛ فلسنا بحاجة – كما يقول أمين – إلى خمسين اسما للأسد وثمانين اسما للسيف، إلى غير ذلك؛ وإنما نحن بحاجة إلى أن نتفق على تعيين مصطلح خاص لكل ما تقع عليه أعيننا أو تشعر به حواسنا من الأشياء، ثم يصير متداولا بيننا فيكون بمثابة إقرار منا بصلاحيته للنطق والاعتبار؛ وإلا فليس من المعقول أنه مع تطور العصر وتقدم الحضارات أن ننفي ما استجد معها من الأسماء والمصطلحات، وكل ذلك بدعوى المحافظة وأن ذلك ليس له أصل في معاجمنا.

لذا - وعلى حد قوله - فلا بد من تقليم اللغة بإزالة الزائد منها وتطعيمها بأسماء ومصطلحات جديدة طرأت عليها يحتاجها أهل العصر. ومع ذلك فإن أمين في دعوته تلك لا يرضى أن يفتح الباب على مصراعيه من غير ضوابط وقوانين؛ وإلا فإن الفصحى في هذه الحالة ستضيع وهذا ما لا يرضى به عاقل فضلا عن عربي مسلم.(٢٤)

وقد يبالغ أمين حين يعلن تساهله في أمر اللغة إلى الحد الذي يقف فيه إلى جانب العامية على حساب الفصحى وذلك بزعم أن **الأدب الشعبي** – على سبيل المثال – لم يكن ليكتب له الذيوع والانتشار ومن ثم القبول والتداول لولا أنه أدب تميز بسهولة العبارة وبساطة اللفظة ومحاكاتها للغة الشارع واللغة الدارجة في الأوساط الشعبية. ولو لم تكن كذلك لما أدت وظيفتها على النحو المطلوب كما لو كانت لغة فصيحة غريبة - إلى حد ما- عن متناول السامعين أو القارئين.

وهذا ما جعل أمين يرضى ببعض الألفاظ غير الفصيحة دعما للأدب الشعبي وتقريبا للمعنى وضمان وصوله إلى أطياف الشعب كافة.

من هنا نجده – مثلا - يصرح قائلا:

(... وما زالت اللغة الفصحى تسهل، واللغة العامية ترقى وتصفو من الحرفشة حتى كادتا تتقاربان، ويكاد لا يكون من فرق بينهما إلا الإعراب).(٢٥)

ولعل هذا التساهل في أمر الأدب من حيث اللفظ أوصل أمين مرة أخرى إلى رأي خطير قد لا يقبله الباحث - رغم ذكره – وهو الدعوة إلى التخلي عن الإعراب والجنوح نحو التسكين بداعي حل المشكلة التي يعاني منها أكثر الطلاب وغيرهم من أصناف المتعلمين.

يقول أمين في ذلك الباب:

(... ونحن نشاهد أن طلبة الجامعة – وقد أمضوا ثلاث سنوات في رياض الأطفال وأربعا في التعليم الابتدائي وخمسا في التعليم الثانوي، وأربعا على الأقل في الجامعة – لا يحسنون القراءة والكتابة باللغة الفصحى؛ فما لم تعالج هذه المشكلة نظل متعثرين في الطريق، والتأريخ يخبرنا أن اللغات البدائية تبتدئ معربة، وتنتهي في تطورها إلى الإسكان. وما جرى عليها يجري على لغتنا، فالقانون الطبيعي يحارب أي استثناء).(٢٦)

وفي أسلوبه - أعني أمين - **يقول الزيات**:

(كان همه من الكتابة أن يقرر ويقنع، لا أن يؤثر ويمتع، ولعل منشأ ذلك فيه أن عقله كان أخصب من خياله، وأن علمه كان أكبر من فنه، وأن حبه للحرية والصراحة كان يحبب إليه إرسال النفس على سجيتها من غير تقييدها بأسلوب معين، وعرض الفكرة على حقيقتها من غير تمويهها بوشي خاص. ومع ذلك كان لأسلوبه طابعه المميز وجاذبيته القوية. تقرأه فلا تروعك منه الصور البيانية الأخاذة ولا الأصوات الموسيقية الخلابة، وإنما تروعك منه المعاني المبتكرة الطريفة والآراء الصريحة الجريئة والشخصية القوية المهيمنة. فأنت منه بإزاء عالم يبحث لينتج، أو مصلح يصف ليعالج، لا بإزاء مصور يلون ليعجب أو موسيقار يلحن ليطرب). (٢٧)

(... كما إنه من أصحاب المعاني لا من أصحاب الألفاظ، ولذا امتاز أسلوبه بالوضوح في التعبير، والدقة في الوصف، والإيجاز في العرض، على طريقة الكتاب الذين يستمدون صورهم من واقع الحياة البسيطة التي يحيونها. وهو في حرصه على تصوير هذا الواقع لا يستنكف عن استعماله الألفاظ العامية والتعبيرات الإقليمية، التي يظهر أنه كان مفتونا بها...)(٢٨)

وقد وصفه **طه حسين** أحسن وصف، حين نقد الجزء الأول من (فيض الخاطر) فقال:

(ومع ذلك فهناك شيئ لا أستطيع أن أختم هذا الفصل دون أن ألم بهما وأشير إليهما: فأما أولهما فهو أن الأستاذ أحمد أمين يسرف في حبه للمعاني وإعراضه عن جمال اللفظ، وغلوه في أن يكون قريبا سهلا وسائغا مألوفا ومفهوما من العامة وأوساط الناس، حتى يضطره ذلك إلى أن يصطنع بعض الاستعمالات العامية التي لا حاجة إليها، ولا تدعو النكتة الفنية إلى استعمالها. وإنما هو تعمد من الأستاذ وتكلف يفسد عليه الجمال الأدبي أحيانا، ويغري بعض نقاده أن يزعموا أن إنشاءه ليس إنشاء أدبيا. وهو مع ذلك أحسن ما يكون الإنشاء الأدبي لو لم يتطرف صاحبه -أحيانا- بهلهلة نسجه، متعمدا لذلك متكلفا له مسرفا فيه...). (٢٩)

أما عند الشايب فأمين (رجل يريح قراءه ولا يندمج فيهم، يعرض أدلته، ويستأثر باستغلالها وينتهي إلى نتائجه، ويقدمها إليهم مستوية ناضجة بأسلوب واضح كل الوضوح، دقيق كل الدقة، ثم يعتكف دونهم ويغلق في وجوههم الباب، ويلقى الحياة بعقله أكثر من قلبه، ويقف منها على أرض من الحديد، يؤمن بالحقائق، ويؤديها بلفظها كما تعرفه الحياة الاجتماعية الواقعية ولو تورط في العامية لأنه مفتون بالاستعمال الإقليمي، وبتأثير الجو في العبارات والتراكيب). (٣٠)

ويلي البساطة شرط ثان يضعه أمين في أسلوب الكاتب الأديب وهو:

أسلوب التضمين الذي يعين على استمالة المخاطب أو القارئ أو المتلقي بأسلوب غير مباشر لأن ذلك أرفع وأنسب وأجدى من استعمال التصريح في كثير من الخطابات؛ فالعبارة الضمنية أو ما تسمى بالمجازية أدعى قبولا، وأوسع مدى، وأخف وطئا، وألطف عبارة، وربما كانت أبلغ من أختها الصريحة. يقول أمين:

(للغة أساليب مختلفة في أداء المعنى الواحد؛ فهناك دلالة تصريحية وهناك دلالة تضمينية فإذا أراد أحد أن يقترض منك، فقلت له: (لا أقرضك) فهذه دلالة تصريحية، وإذا قلت له: (ليس عندي نقود) أو (إني مدين) أو (قد كنت فكرت أن أطلب منك ما تطلب مني)، فهذه كلها تدل على عدم الإقراض بطريق التضمين.

واللغة ترتقي من طريق الدلالة التضمينية أكثر مما ترتقي من طريق الدلالة التصريحية، فكلما ارتقى ذوق الفرد أو الأمة شعر أن ما يناسبه هو التلميح لا التصريح، والدلالة التضمينية لا الدلالة التصريحية...).(٣١)

ومن الشروط – أيضا - التي تسمح للكاتب أن ينضم إلى حضيرة الأدباء شرط ثالث وهو:

الإيجاز في الكلام؛ إذ إن أمين يمقت الإطالة والإسهاب ما دامت العبارة القصيرة تفي بالغرض وتحقق المطلوب ومما يحسن السكوت عليه.

وبذا يكون من أنصار ما يسمى ب **(الكيف لا الكم)**، وهو عنوان كان أمين قد سود تحته مقالا أوضح فيه انتصاره للإيجاز الذي أكد بأنه أشرف الكلام وأن القدماء قد تكلموا وأفاضوا الحديث فيه، كما وعدَّ أمين الإيجاز هدف الكاتب الأول – إن هو قصد الأدب الحقيقي – فكلما كانت العبارة قصيرة والنص موجزا صغيرا كلما كان أصوب وأرجح وأعلى رتبة؛ إلا إذا دعت الضرورة إلا الإطالة خدمة للمضمون – **الكيف** – لا غير فهذا من مكملات التفوق لتمام المعنى ووصول الفكرة؛ لذا يتساءل أمين: لم كان القدماء يتخيرون أوجز العبارات في برقياتهم، ويتعجب: لم صار التباهي اليوم في الصحف والمجلات والكتب بكثرة الأوراق وطول الأعمدة وعدد الصفحات؛ خلافا لما دأب عليه الحذاق من أهل الأدب قديما وحديثا. وليس ذلك ينطبق على الكلام فحسب – كما يتضح من كلام أمين – وإنما الأمر يسري على جميع الأشياء الحياتية الأخرى ومن ذلك الخيار الذي يرغبه بعضهم صغيرا ورفيعا وآخرون يحبونه ضخما كبيرا ! وقس على ذلك.(٣٢)

ولأمين أيضا مقال بعنوان: **(كلمة بكتاب وبيت بقصيدة)** يوحي بمدى حبه للاختصار ورغبته في الإيجاز. ويستشهد لذلك بشواهد من تأريخ العرب، سواء كانت أقوالا أو أشعارا أو أمثالا.

وغاية ما يبتغيه أمين من هذا العنوان أستطيع حصره في: القليل المعبر، وما قل ودل، وإيجاز أفضل من إسهاب.(٣٣)

ثم ومن الشروط الأساسية الأخرى التي أختم بها مبحث الألفاظ والتراكيب والتي يتوجب على الأديب النظر إليها عند الكتابة والأخذ بها ومراعاتها؛ شرط رابع ألا وهو:

المناسبة؛ وأريد بها مناسبة النص لمقتضى الموضوع؛ والتي تتراوح وتتنوع شدة ورخاوة، وقوة وليونة، ورقة وقسوة، تبعا لذلك. فبعض الكتاب أو الخطباء أو الشعراء تجده يتكلم بحماسة عن موضوع هو غاية في الرومانسية – مثلا – وربما كتب أو تكلم في المقابل بلسان خافت ميّت وهو بصدد موضوع يتطلب الحماسة والقوة والجلبة كمثل الفخر أو التحفيز على الحرب ضد الظلم والدفاع عن النفس والعرض والدين.

من هنا نجد أحمد أمين في مقالة **(أدب الحرب)** – على سبيل المثال - يصرح قائلا:

(وللأمم الحربية أخلاق تخالف أخلاق الأمم المسالمة، ولكل أدب يخالف أدب الأخرى، لأن الأدب ظل الحياة وسجلها، وإذ كان العرب أمة حربية غني أدبهم في هذا الباب غنى كبيرا وسلكوا في القول في الحرب كل مسلك؛...).(٣٤)

ويسري مثل ذلك وغيره على باقي الأغراض التي تستدعي من الكاتب أن يلبس معانيه ألفاظا تناسبها وتنسجم معها ولا تنشز عنها؛ بما لا يشكل خللا فيما ينبغي أن يقوم نصا أدبيا.

المبحث الثالث

سمات عامة وصفات مشتركة:

يرى الكاتب أحمد أمين في رد على سؤال وجه إليه بشأن الأدب والهدف منه، وهل نحن بصدد ما يسمى **(بالفن للفن)** أم **(الفن للمجتمع)**، ثم أين موقع الإصلاح من هذا الأدب...

يرى أن على الأديب أن يقف موقف المصلح الذي يأبى أن يكتب الساقط المرذول، المضعف للخلق والمفسد للرجولة، كما ويرى أمين أنه لا بد من السماح والإصغاء لنوع من الأدب (لا هو بالقوي الذي تتطلب الاقتصار عليه ولا هو بالضعيف المائع، ذاك هو أدب الحب العف والفكاهة الحلوة البريئة، والهزل يشف عن جد والمزح مبطنا بعظة ونحو ذلك؛ ففي التزام الجد خروج إلى الجفاء وانحدار إلى الجمود...).(٣٥)

يذكر صاحب المعارك الأدبية وتحت عنوان (الفن للفن والفن للمجتمع) أن مساجلة أدبية حصلت بين أحمد أمين وتوفيق الحكيم وعبد الوهاب عزام حول **(مستقبل الأدب العربي)** حيث أنشأ أحمد أمين في مجلة الثقافة مقالات عدة في هذا الموضوع تناول فيها ضرورة إنشاء أدب جديد يعنى بالإصلاح الاجتماعي وعرض للأدب الاجتماعي الأمريكي وهاجم الأدب الذي يعتمد على التراث القديم ويستوحي أساطير اليونان والرومان. ورد عليه **توفيق الحكيم** مبينا أن الأدب الباقي هو الذي لا يرتبط بالأحداث ولا بالمشاكل الاجتماعية العامة؛ وإنما يبقى الأدب حين يتصل بالنفس الإنسانية.

وهاجم توفيق الحكيم دعوة أحمد أمين إلى **(أخلاقية الأدب)** وقال: إن الفنان ليس مطالبا بأن ترسم له الطريق وله أن يكون حرًا في عمله. وكان توفيق الحكيم في هذا متأثرا بالنظرية الغربية التي تفرض فصل الأدب عن المجتمع وهي نظرية تخدم الاستعمار والتغريب إذا قبلناها على علاتها... (٣٦)

وفي مقالة **(أدب المستقبل)** يخلص أمين إلى أن هذا الأدب سيؤول إلى النزوع إلى **الديمقراطية** بعد انحساره زمنا طويلا في **الارستقراطية** التي قيدت الأدب وأنهكته وكادت أن تحكم عليه بالسجن المؤبد أو الإبعاد وربما الموت..

فرأى أن الفن للمجتمع هو الأدب الذي لا بد أن يكون وأن يسود لتنتهي قصة **(الفن للفن)** التي لم تعد قادرة على تلبية ما يحتاجه جيل المستقبل وليست أهلا للخلود والذكر إلا بما يشتهي البعض.

من هنا يصرح أمين خاتما مقالته (أدب المستقبل) فيقول:

(سيقدر التأريخ الأدباء تقديرا آخر غير التقدير الماضي، لقد كان التقدير الماضي مبنيا على فخامة أسلوب، وجمال تعبير، وقدرة على البديع، أما في المستقبل فسيكون تقدير الأديب: ماذا صنع لأمته وكيف هداها إلى الخير، وإلى أي حد رفع صوته ضد الظلم والفساد ؟).(٣٧)

ومن جملة الأمور الجلية والعظيمة التي ركز عليها الكاتب أمين وخرج بها؛ معلم رئيس من معالم السير في طريق الأدب الكامل وذلك حين وضع يده على واحد من أهم أسباب ضعف الأدب؛ لا يرقى إلا إذا برئ منه وتزيَّل عنه ألا وهو **(الذوق العام)** الذي لا وجود للفن الأدبي بدونه لأن السواد الأكبر من الناس لا يقدرون على تحديد الغث من السمين وليسوا أهلا لاستحسان عمل واستهجان آخر أو المحايدة بينهما إلا إذا أوتوا أداة الذوق التي يصفها أمين بكونها الأداة العظمى من بين أخواتها الأخريات وهي الأداة الواجبة لتحقيق ذلك.

ويدلل على هذا بالقول (... إن أظهر مثل لذلك ما فعله عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، فماذا صنع ؟ إنه يأتي بالبيت الجميل ثم يقف ويتساءل: فيم كان جماله ؟ فما هو إلا أن يصوغ لك جملا رشيقة، فيقول: إن هذا اللفظ يروقك ويؤنسك، وغيره يثقل عليك ويوحشك، وهذا الوضع يبهرك جماله، وهذا النظم يأخذ بلبك ما فيه من نسيج وصياغة، ووشي وتحبير؛ ويعلل سبب ذلك أحيانا بالتقديم والتأخير، وأحيانا بالفصل والوصل، وكلها علل لا تصلح، فأنا كفيل بأن آتيك بتقديم يحسن، وتقديم مثله يقبح، وفصل يروعك، وفصل مثله يسوؤك، وقد تحاول أن تفرق بينهما فلا تستطيع، ثم تسلم سلاحك وتكتفي بأن تقول: هذا جميل، وهذا قبيح، وهذا يحسن في ذوقي، وهذا لا يحسن، وبذلك تكون قد قطعت شوطا بعيدا، ثم في آخر الأمر عدت إلى النقطة التي بدأت منها سيرك. وما علوم البلاغة كلها إلا محاولة لتعليل الذوق الأدبي، ولكن هل أفلحت في التعليل ؟ إنا لنخشى أن تكون قد دارت حول نفسها، ولم تأت بشيء (لأن الذوق لا يعلل) وإذا كان الذوق لا يعلل فكل ما ترتب عليه لا يعلل، وإذا كان الفن وليد الذوق فالفن لا يعلل، كيف ظهر وكيف قوي وكيف ضعف..).(٣٨)

وإني مع تسليمي المطلق لما نص عليه أمين من كون الذوق العام أداة عظمى من أدوات الأدب سواء لدى الكاتب أو المتلقي؛ -والتي بتقديري لا وجود للأدب بدونها مهما بلغت ثقافة الكاتب وعلمه -؛

إلا أني لا يمكن أن أتغاضى في الوقت نفسه عن التعليل المنطقي الذي يستعين به الناقد عند تقويمه نصا أدبيا والحكم عليه من ثم سلبا أو إيجابا..

ثم أعود إلى أمين الذي راح يؤكد هذا الرأي في مقال له آخر حين قال: (والذي أميل إليه أن الفن نتيجة الذوق لا محالة، وأن الذوق يمكن تربيته وترقيته؛ فالطفل إذا لفت نظره إلى الأزهار وجمالها تكون فيه الميل إلى حبها والاستمتاع بها؛ فإذا كان بعد أديبا اتصلت حياته الأدبية بها وظهر في نتاجه الفني هذا الحب وهذا التقدير).(٣٩)

ولعلي **أختم البحث** بالعودة إلى ما به بدأت من نقاش واسع حصل من قديم بين علماء البلاغة فانتهى إلى شبه قرار ينص على عدم جواز التفريق بين اللفظ والمعنى من حيث الأهمية وتقديم واحد على آخر عند من يمتهنون الكتابة الأدبية ويدلون برأيهم إزاء ذلك بإظهار إعجابهم، أو بنظرة مستهجنة. فها هو أمين يدلو بدلوه في هذا الشأن الذي يعلن فيه انحيازه شبه التام للمعنى مع ضعيف اهتمام باللفظ من غير عبادة – لذاك الأول - ولا تقديس.

فبعد أن يعرض شيئا من هذا الخلاف الدائر بين الذين ذكرنا يمر مرورا سريعا على بعض من اشتهروا باعتنائهم بالألفاظ كالحريري في مقاماته، وبعض من اعتنوا بالمعاني وأهملوا الألفاظ كالمعري في لزومياته؛ (٤٠) ليصل إلى خلاصة مفادها:

(إن الأديب إذا رزق حظوة في السبك وأصيب بفقر في المعنى كانت شهرته وقتية وقيمته محدودة الزمن، ولا يلبث الناس أن يدركوا ضعفه وفقره فينبذوه. والأديب الخالد من زاد في معارفنا ومشاعرنا بما في قوله من معنى وقوة.

أديب اللفظ فارغ الرأس، قليل العلم بما حوله، قريب الغور، قد ستر كل هذا بزخرف القول كما تستر الشوهاء عيبها بالأصباغ، رخصت بضاعته فبالغ في التجمل في عرضها، ولفت الأنظار إليها، وشعر أنها مزيفة فغضب لنقدها والتلويح بامتحانها...).(٤١)

ثم بعد ذلك يختصر لنا أمين الطريق في معرفة قبلته التي يتجه إليها في الأدب بكل صراحة ووضوح حين يقول:

(ما أحوج أدبنا العربي إلى المعنى القوي الغزير في اللفظ الجميل البسيط).(٤٢)

ولعل في كتاب (المقال وتطوره في الأدب المعاصر) ما يفصل هذا الكلام فصاحب الكتاب يصرح بأن أحمد أمين (اتخذ لنفسه شعارًا وهو: **(أكتب وفكر بلغة العصر وروحه)** لذا جاء أسلوبه رائقًا، ومعانيه أخاذة، وعبارته واضحة، وشخصيته فيه قوية، ومع ذلك فإنه يعرف بالسمات التالية:

١- التفكير المنطقي الهادئ الدقيق، والقدرة على النفاذ إلى لباب الفكرة، في كل ما يطرقه من موضوعات، أو يتناوله من أحاديث.

٢- الاهتمام بتقرير الفكرة والإقناع بها أكثر من اهتمامه بالتأثير والاتباع.

٣- معانيه مبتكرة طريفة، وآراؤه صريحة وجريئة، وشخصيته قوية واضحة تفرض نفسها فرضًا.

٤- يخضع اللغة للفكر، ويؤثر الوضوح على تنميق العبارة، مع السهولة واليسر والبساطة الخالية من زخرف القول.

٥- تؤدي عباراته ما يريده في جلاء، ودون تصنع أو تكلف، وتشيع فيه الروح الهادئة الوادعة المتواضعة). (٤٣)

وبعد فإن الذي ذكرت ما هو إلا رأي من الآراء التي قد يعتريها النقص ويطرأ عليها الخطأ؛ فإنما هو اجتهاد منه _ رحمه الله – مبني على علم وثقافة وتجربة وتطبيق؛ صرح به أمين في كتابه (حياتي) وأعرب عن انحيازه الكبير لأدباء المعنى وأدبه حتى ولو ضحى بشيء من البلاغة؛ وفيه يعترف بأن مزاجه فلسفي أكثر منه أدبي؛ ثم يقول: **(... حتى في الأدب أكثر ما يعجبني منه ما غزر معناه ودق مرماه، فيعجبني الجاحظ وأبو حيان التوحيدي وابن خلدون أكثر مما يعجبني الحريري والقاضي الفاضل والصاحب بن عباد وطريقته، والعماد الأصفهاني ومدرسته، ويعجبني المتنبي لولا إغرابه أحيانا وتكلفه، والمعري لولا تعالمه، وأفضلهما على أبي تمام وتقعره، ولا يعجبني من البحتري إلا قصائد معدودة، ولا يهتز قلبي لأكثر شعر الطبيعة في الأدب العربي، لبنائه على الاستعارة والتشبيه لا على حرارة العاطفة؛ ولهذا كان لي ذوق خاص في تقدير الأدب، فضلت اتباعه مجتهدا – ولو كنت مخطئا – على تقليد غيري في تقديره ولوكان مصيبا..).**(٤٤)

ومما يعزز هذا الرأي الذي صرح به أمين في نظرته إلى الأدب بشكل عام هو ما ذكره في معرض حديثه عن النقد الأدبي إثر مقارنة سريعة عقدها بين ما كان عليه الأدب وما آل إليه يقول: (... نعم، أعتقد أن الأدب العربي ارتقى عما كان عليه منذ عشرين سنة في جملته لا في كل ناحية من نواحيه، فقد يجوز أننا لم نجد من يخلف شعر **(شوقي)** و **(حافظ)** من ناحيتهما الشعرية؛ ولكن الأدب – بمعناه العام – أصبح خيرا مما كان، **فغزرت معانيه بعد أن كان لفظيا، وعمق بعد أن كان سطحيا،** وجادت القصة نوعا ما، واتسع أفقه وموضوعاته قدرا ما، وتأثر بالأدب الغربي وقلده في مناحي رقيه...).(٤٥)

الخاتمة :

الحمد لله في الأولى والآخرة وبعد:

فها هي سفينة البحث والتحري التي انطلقت من فيض الخاطر في جزئه الأول وتخطته إلى الثاني فالثالث ثم الرابع وصولا إلى العاشر؛ ها هي تحط الرحل عند ميناء الأدب حيث النظرة الخاصة، والمذهب المتميز، والقبلة المستقلة التي بات يتجه إليها كاتبنا أحمد أمين في مفهومه للأدب؛ والتي تكاد تنحصر في الآتي:

١- أحمد أمين كاتب معاصر يرى في المجمل أن المعاني والأفكار خير وأحب إليه – في العناية والتركيز – من الألفاظ والتراكيب، وفي كل خير.

٢- مع تركيز أمين الواسع على جانب المضمون فإنه لا يهمل في الوقت ذاته جانب الشكل الذي يضعه في عداد الأدباء.

٣- أحمد أمين من أنصار ما يسمى بنظرية الفن للمجتمع لا الفن للفن لكونه مصلحا اجتماعيا قبل أن يكون أديبا، هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى لأنه يرى أن وظيفة الأديب لا يمكن لها بحال التخلي عن الوعظ والإرشاد ومن ثم الإسهام الجاد في نهضة المجتمع والتطلع إلى التغيير المنشود لواقع الأمة العربية.

٤- أحمد أمين مع فرط اعتزازه باللغة ودفاعه المستميت عنها ونعيها والبكاء عليها؛ بعد رؤيته الضياع الذي بات يتهددها؛ إلا أن ذلك لم يمنعه من الدعوة إلى تبسيطها وإجراء بعض التطويرات عليها بما لا يخل – على رأيه - بأصلها وأصالتها وذلك بالاستغناء عن كثير مما لا يتناسب والتطور الثقافي والحضاري والعلمي الحالي من ألفاظ وتراكيب، وإضافة إليها بعض المصطلحات الجديدة؛ بعد الاتفاق على مشروعية تداولها ثم قبولها بإقرار من المجامع العلمية، وإن لم يكن لها أصل في معاجمنا العربية.

٥- ينادي أمين بضرورة تطوير الذوق العام وتربية أبناء الأمة على إحيائه وتفعيله بعد إيجاده؛ لأنه سبب مهم وفعال في تطوير الأدب وازدهاره.

٦- ينادي أحمد أمين بعودة الأديب الديمقراطي، وطرد الأديب الارستقراطي الذي جثم على صدر العرب ردحا من الزمن عاش فيه بمعزل عن جماهير الناس؛ فذاك سر من أسرار نجاح العمل الأدبي وخلوده؛ لذا فالواقعية التي هي قرينة الأدب الديمقراطي تكاد تكون هي الأبرز من بين شروط الأدب الأميني بلا أدنى شك.

٧- وفي العموم يضع لنا أمين شروطا للأدب السوي – في نظره - حاولت جمعها من جراء بحثي في الأجزاء العشر، وعلى مستويي اللفظ والمعنى، وهي باختصار:

أ – **شروط المعنى**: الواقعية، والذوق، وأن يكون أدب روح لا أدب معدة، ثم الفكاهة، وبعدها القوة، والموسوعية، والابتكار، وتوافر العاطفة، وكثرة المطالعة، ثم البعد عن السياسة، وآخرها وفرة التجارب.

ب – **شروط اللفظ**: البساطة، والتضمين الذي هو ضد التصريح، والإيجاز في الكلام، وآخرها شرط المناسبة التي يعني بها مناسبة الألفاظ لطبيعة الموضوع.

٨- وبذا تكتمل الصورة الأخيرة والمشهد النهائي لمفهوم الأدب عند أمين؛ الأدب الذي قد يباح لي أن أنعته - ختاما - **بالأدب الشعبي؛ يُكتب بلغة فصيحة.**

هوامش البحث :

---

(١) فيض الخاطر ١ / ١٦٣

(٢) - أنظر فيض الخاطر، ٨٣، ٩/٨٦

(٣) أنظر المدخل في فن التحرير الصحفي، عبد اللطيف محمود حمزة، ٢٩١ ، وانظر: فيض الخاطر ١/ ١٧٩، ١٨٠.

(٤) أنظر المصدر نفسه، ٧/٢٦٠

(٥) المصدر نفسه، ٢/٨٣

(٦) المصدر نفسه، ٢/٨٤

(٧) المصدر نفسه، ٢/٨٣

(٨) أنظر المصدر نفسه، ٢/٨٥

(٩) المصدر نفسه، ٧/٢١٤

(١٠) المصدر نفسه، ١/١٧

(١١) أنظر المصدر نفسه، ٤/٩٢

(١٢) أنظر: كتاب الأغاني لابي الفرج الأصبهاني، ٢٨/١٥، وانظر: فيض الخاطر بتصرف، ١/١٦.

(١٣) فيض الخاطر، ٩/٦٣

(١٤) أنظر المصدر نفسه، ٩/١٥

(١٥) المصدر نفسه، ٩/١٤٤

(١٦) أنظر المصدر نفسه، ٦/٢٩٢

(١٧) أنظر المصدر نفسه، ٦/٢٩٣

(١٨) أنظر المصدر نفسه بتصرف، ٩/٢٤٠

(١٩) ديوان الإمام الشافعي، ص٧١

(٢٠) أنظر فيض الخاطر، ٨٨-٩/٨٩

(٢١) أنظر المصدر نفسه، ٨/٥٥

(٢٢) مجلة الرسالة، ١٠ يوليو ١٩٣٩، نقلا عن كتاب: المعارك الأدبية، أنور الجندي، ص١٢.

(٢٣) فيض الخاطر، ٢٥١/٧

(٢٤) أنظر المصدر نفسه بتصرف، ٣/١٥٤

(٢٥) المصدر نفسه، ٩/١١٦

(٢٦) المصدر نفسه، ٩/١١٨

(٢٧) أحمد أمين بقلمه وقلم أصدقائه, لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٦، ١٧ , نقلاً عن كتاب فن المقالة, محمد يوسف نجم, ٦٨.

(٢٨) فن المقالة, ٦٨.

(٢٩) المصدر نفسه, ٦٩.

(٣٠) الأسلوب، أحمد الشايب، ١٢٩.

(٣١) فيض الخاطر، ٥/٤١

(٣٢) أنظر المصدر نفسه، ٦-١/٧

(٣٣) أنظر المصدر نفسه، ٨٥ وما بعدها /٧، وانظر أيضا المصدر نفسه، ٤ وما بعدها /١

(٣٤) المصدر نفسه، ٨/١٤٧

(٣٥) المصدر نفسه، ٩/٦١

(٣٦) انظر: المعارك الأدبية: ٣١٩.

(٣٧) فيض الخاطر، ٩/١٦٩

(٣٨) المصدر نفسه، ١/٤٩

(٣٩) المصدر نفسه، ١/٥٠

(٤٠) أنظر المصدر نفسه، ٢٠١-١/٢٠٣

(٤١) المصدر نفسه، ١/٣٠٤
(٤٢) المصدر نفسه، ١/٣٠٤
(٤٣) المقال وتطوره في الأدب المعاصر، السيد مرسي أبو ذكري، ص١٧٢
(٤٤) حياتي، أحمد أمين، ٢٥٠
(٤٥) فيض الخاطر، ٣٥٦/١

المصادر والمراجع :

١-الأسلوب، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، ط١٢، ٢٠٠٣ .
٢ - أحمد أمين بقلمه وقلم أصدقائه, لجنة التأليف والترجمة والنشر, الكتاب المقدس, ١٩٩٥ .
٣-حياتي، أحمد أمين, مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة, ٢٠١٢ .
٤- ديوان الإمام الشافعي، جمعه وحققه وشرحه الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٩٩٦ .
٥- فن المقالة, محمد يوسف نجم, دار صادر بيروت - دار الشروق عمان, ط١, ١٩٩٦
٦- فيض الخاطر، وهو مجموعة مقالات أدبية واجتماعية، كتبه أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١٦.
٧- كتاب الأغاني لابي الفرج الأصبهاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط٢ .
٨- المدخل في فن التحرير الصحفي، عبد اللطيف محمود حمزة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٥ .
٩- المعارك الأدبية، أنور الجندي، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٣ .
١٠- المقال وتطوره في الأدب المعاصر، السيد مرسي أبو ذكري، المعارف، ١٩٨١-١٩٨٢

المجلات :

مجلة الرسالة، ١٠ يوليو ١٩٣٩

Literature concept at the writer "Ahmed Ameen"

Inst. Dr. Ahmed Abdul-Aziz Awad
Anbar University-College of Arts

Abstract

The aim of this study to discover for the way which the writer "Ahmed Ameen" was way to it in concept him for the literature ; when he wanted actual literature has abundant meanings and simple , easy structures made all the people understand , interaction with it . it is shorten democratic , no aresticratic literature . At last … it is literature for society not for art .